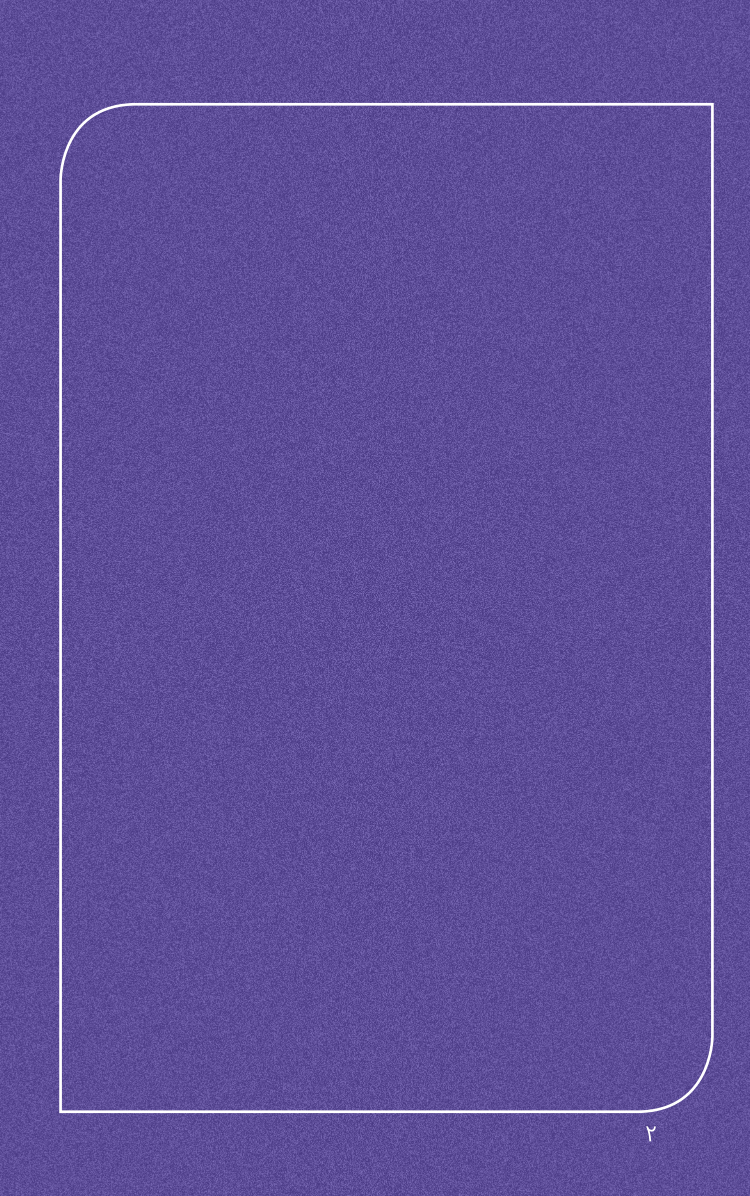
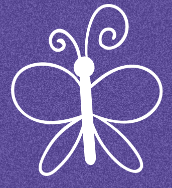
حكايا السمراء

« مجرد ثرثرة »

لـ سارة درويش

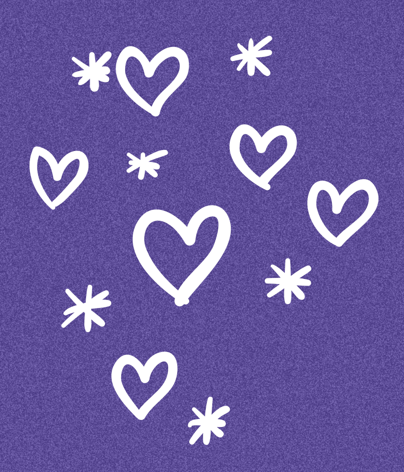




حكايا السمراء

« مجرد ثرثرة »

لـ سارة درويش



إهداء..

إلى أوراق التـوت.. الـتي كلمـا تسـاقطت أضافت للحكايـا واحـدة، وزادت البعـض جمـالاً.. وزادتـني امتنانًـا لهـؤلاء الذيـن لـم يشـبهونها ولـم يتسـاقطوا مـن حيـاتي مـع العاصفـة.



إخلاء طرف

هذه الثرثرات نسخة منقحة من الإصدار الأول للحكايا، الذي خرج للنور في العام ٢٠١٠، أي في الواحدة والعشرين من عمري. السن التي تكون فيها قادرًا على الثرثرة من دون التفكير طويلاً في جدوى التعبير عن مشاعرك أو تدوينها. على الرغم من كل شيء لم أغير الكثير في هذه النسخة، سوى محاولة إنقاذ اللغة العربية قبل انتحارها بسبب بعض الأخطاء الفادحة بحقها في الإصدار الأول، لأنني أعتز كثيرًا بهذه الحكايا، بقدر الرسائل التي وصلتني بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من أعزاء رأوا أنفسهم في بعض سطورها، فضلاً عن اعتزازي الشخصي بها الذي ستفهمه كثيرًا إذا كنت واحدًا ممن يتأملون كراستهم في

المرحلة الابتدائية بحنين، ويشعرون بالبهجة وهم يقرأون خطوطهم البريئة المرتبكة التي تضل طريقها المستقيم على السطر أكثر من مرة.

البعض سيرى هذه المقدمة إخلاء طرف محاولة للتنصل من مسؤولية خواء الحكايا من أية إضافات لبحر الأدب، حيلة لمصادرة النقد استباقًا، أو تسميم البئر بالتعبير الشائع، وهي حيلة ذكية أعترف، لكنني لم أقصدها هاهنا.

كل ما أحاول أن أقوله هنا، أن هذا الكتاب مجرد ثرثرة، وهو ما أوضحته أعلاه، وقبولك لقرائته يعني أنك وافقت ضمنيًا على أن تطلع على هذه الثرثرة، وهو قرار أشكرك عليه وأتمنى ألا تندم كثيرًا لاتخاذه، أي أنك باختصار جئت هنا «بخالص إرادتك الحرة».

(١)

منمنمات

«كلما اتسعت الرؤية.. ضاقت العبارة»

النفري



شاربه

دار حـولي مـرات عـدة مـن مسـافة معقولـة.. ثـم شـعرت بأنفاسـه تدغدغـني فعرفـت أنـه اقـترب.. اقـترب جـداً مـني.

لـم أتحـرك في البدايـة، كُنـتُ مأخـوذة بجرأته في أن يقـترب مـني لهـذه الدرجـة في أول لقـاء لنـا، ولـم أتحـرك بعـد ذلـك لأنـني كنـت مسـتمتعة بمحاولاتـه المرتبكـة والمـترددة والجريئـة في الوقـت نفسـه، لاستكشـاف جسـدي.

اقتربـت أنفاسـه أكـثر بينمـا أكتـم أنفـاسي كي لا يتراجـع خطـوة واحـدة. اقـترب أكـثر فدغدغـني شـاربه في رقبـتي، لـم أقـو عـلى الكتمـان أكـثر، أفلتــت مــني ضحكــة قصــيرة لكنهـا للأســف كانــت كافيــة لإخافتــه، فتســمر أمــام جســدي العمـلاق مقارنـة بجسـده الصغـير وأطلـق مـواءً مذعـوراً وهـرب!

حنان

قَدرُها أنها حادة كالسكين.. تضطر دائماً أن تبتعد عن أحبابِها كيلا تقترب.. فتجرحَهم !!



دبلة.. خاتم.. محبس

هـي كل مـا يذكرهـا أنهـا زوجـة. لـذا، تنفسـت الصعـداء حـين هاجمهـا هـؤلاء المتسـكعون في الشـارع ليـلاً، وسرقـوا الدبلـة والخاتـم والمحبـس.

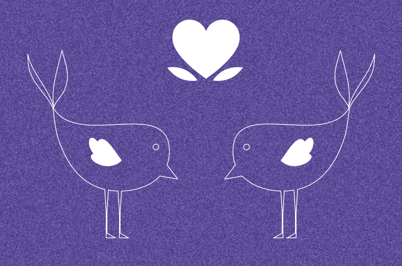
الآن.. يمكنها الخلاص!

شوق

تشــتاقه ولا تخــبره. يَشــعُر بهــا، يُهاتفهــا، فلا ترد !!

هـي تسـتمتع بشـوقها لـه كمـا تسـتمتع بأنسـها بـه.

كل ما هو «به» ممتع حتى لو أوجعها.



عتق

حين «تهاوى».. حملته... ولم تنس أنها قبله، هوت مرارًا، وفي كل مرة، كان البلاط/ الرخام الصلب وحده يستقبلها، ربما لذلك لم يجروء أحدهم أن يطالبها بمساعدته، ولكنها حملته معهم وعقلها يركض كالمحموم.. تشعر بانتصار ما، رغم أنها متأكدة أنه لم يمت.

كانت تشعر بالثقل نفسه على قلبها، الذي حملته أكثر من عشرين عامًا، لذا كانت متأكدة أنها لم «تُعتق» بعد.

كان يتظاهر بالانهيار.. وكانت تتظاهر بتهدئته.. بينما تقول عيناها «افعل ما شئت.. سأنتصر في النهاية».

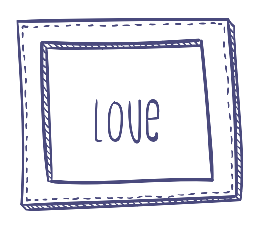
الأبيض أيضاً يُلَوِث

لا يذكــر بالتحديــد مــن أيــن بــدأ المــرض مهاجمتــه، ولا يذكــر مــتى لاحــظ أول رقعــة بيضــاء عــلى جلــده، لكنــه يذكــر وبشــدة ذلــك اليــوم الــذي نظــر إلى نفســه في المــرآة ولــم يعــرف وجهــه !! عــود نفســه عــلى التأقلــم مــع المــرض، حــتى أنــه كان يتســلى بتوقــع مــكان الرقعــة القادمــة، وبعــد أن كان يتحــاشى النظــر في وجــوه النــاس منــذ أصابــه، عــاد ثانيــة يتطلــع في وجوههــم بــكل كبريــاء؛ لكنــه رغــم كل شيء كان يحــن للونــه الأســمر القديــم، وتعلــم للمــرة الأولى.. أن الأبيــض أيضــاً يُلــوث !!

مساحات

بعـــد أن مزقـــت صورتـــه اكتشـــفت أن الإطـــار يتســـع لأكـــثر مـــن صـــورة مكانهـــا.

لم تتخيل قبلها، أنه يشغل كل هذا الحيز !



مأساة

أن تكوني أنثى معجونة بالغيرة وتختارك أخرى من بين كل فتيات الحفل لتخبرك أن حبيبك وسيم !



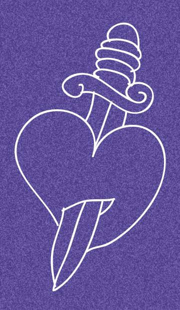
تحتضنه لتكتمل

منـذ طفولتهـا وهـي تعشـقه، معـه فقط تشـعر أنهـا مكتملـة، لا تكـون بحاجـة لنظارتهـا الطبية، ويكـون شـعرها أجمـل.. يكـون أطـول وأنعـم حـين يلمسـه، حـين كـبرت قليـلاً اكتشـفت أن جسـدها أيضًـا، يكـون أنعـم وأجمـل كلمـا انسـاب عليـه، فأصبحـت تلجـأ إليـه كلمـا ضعفـت ثقتهـا بنفسـها، أو ضاقـت بهـا الدنيـا. كانـت ترمـم نفسـها بـه. ..... حـين تورطـت في علاقتهـا إلى حـد أن الفضيحـة أصبحـت أكيـدة بعـد سـبعة أشـهر، لـم تـدر كيـف فعلـت مـا فعلـت!! شـعرت أنهـا حقـيرة جـداً، آثمـة جـدًا وملوثـة.

قـررت أن تلقـي بنفسـها في البحر..لـم تكـن تعـرف السـباحة ولكنهـا لـم تكـن تفكـر أيضـاً في الانتحـار.. هـي فقـط تعشـق المـاء وتحتضنـه لتكتمـل !

خيبات صغيرة

قالت له يوماً إن الخيبات الصغيرة تقتل الحب مهما كان كبيراً، ولم يُصدِقها أبداً. فلم يستوعب أبداً أنها تركته لأنه نسى - للمرة الخامسة - ذكرى ميلاد حبهما!



وحدة

في ربيعها حَذّرتْها أمها مِن التحديق طويلاً في المرآة خوفاً من أن يُفتَن بها جِنيّ ! وبعد وصولها للثلاثين دون قِصة حب واحدة - ولا حتى فاشلة - تذكرت تحذير أمها فباتت تُحَدِق طويلاً في المرآة أملاً في أن تُعشَق مرة.. ولو من جِنيّ!!

حوار..

قالت لها خطواته البطيئة - رغم طول قامته - انه يستبطئ انتهاء طريقهما معاً.. وأنه يريدها جواره باقي العمر.. فردت خطواتها السريعة أنها تتعجل الوصول لمفترق طريقهما معاً !

«دش دافي»

«استناني خمسة..هاخد دش دافي وارجعلك»..
قالتها للمرة الأولى وهي تحاول إخفاء ارتجافها بمعجزة، كانت نسيت كل النصائح التي قالتها لها زميلاتها الخبيرات في المهنة، ولم تتذكر إلا هذه النصيحة..
«استناني شوية هاخد دش دافي واجيلك».
نصحوها أن تقولها كي تبدو محترفة وتعرف ما يجب أن تفعله، ويزداد شوقاً واحتراقاً لها ولا يمانع أبداً في منحها الثمن الذي تطلبه.
لكنها حين قالتها لم تكن تفكر إلا في بضع دقائق تسترد فيها أنفاسها وتحاول أن تهدأ وتجبر جسدها على طاعتها، ولا تطاوع ساقيها اللاتي تأمرانها بالفرار.
تمنت أن يهدئ الماء من روعها، لكنها ما إن اصبحت وحدها وتعرت تمهيداً لأن تغتسل حتى كادت تجن وهي تتخيل ما ستفعله

معه بعد دقائق..
بكت كثيراً حتى علا نحيبها فجاء يجري ليرى ما الأمر.. وما إن رآها عارية حتى فقد ما تبقى من صوابه وحدث ماحدث تحت الماء.

****

« -استناني خمسة هاخد دش دافي واجيلك»
قالتها بطريقة تعد بالكثير، لكنها لم تكن تفكر في هذا الكثير الذي تشي به كلماتها والغمزة.. لم تعد تفكر في شيء منذ اعتبرت ما تفعله «مهنة»، صارت خبيرة في مهنتها وكل الخبراء يؤدون عملهم بآلية.
مارست ما ستفعله معه، مئات المرات قبله.. وستفعله مع غيره آلاف المرات.
وقد تعلمت أهم دروس هذه المهنة: لا يجب أن تفكر كأنثى..
يجب عليها فقط أن تبدو «أنثى».
وفي طريقها إلى الحمام لم تعد تفكر في

اللذة التي ستشعر بها معه، ولا فى عينيه المحرومتين التي تلتهمها التهاماً، لم تعد صورة أبيها العجوز تراودها، ولا الخيالات المرعبة التي كانت تراها في الماضي.. لم تعد تتخيل نفسها ميتة بين أحضان غريب في هذا الموقف المخزي.. لم تعد تراودها هذه الأفكار البلهاء التي لم تفارقها وهي لا تزال مبتدئة.

هي الآن تفكر في أشياء عادية جداً.. تفكر أحياناً في الثوب الذي نست أن تحضره من عند المكوجي.. وأحياناً في موعد إعادة الحلقة التي فاتتها من مسلسلها المفضل.. بل وأحياناً عندما يعجبها نوع الصابون الذي تغتسل به في بيت «الزبون»، تفكر في أنها ستشتري منه دستة على الأقل.. فهو نوع جيد بحق!

خيبة

كنـتُ أنظـر بـأسى لتجاعيـد وجههـا وهـي تحـكي لي عـن حبهـا الأول... عـن خجلهـا أضاعـه وجبنـه الـذي أضاعهـا.

وبينمـا تحـكي لـ «الـذي ي عـن حلمهـا بـزوجٍ حنـون وبيـتٍ بحديقة ترفـرف فوقها السـعادة»، قاطعنـا صـوت زوجهـا الفـظ وهـو ينهرهـا لأنهـا لـم توقظـه في الميعـاد الـذي أمرهـا بـه، حاولـتْ لفـت نظـره لوجـودي لكنـه تمـادى فيمـا يفعـل.. تضاعفـت التجاعيـد عـلى وجههـا في لحظـة وأضافـت لملامحهـا عـشرات الأعـوام مـن الهـمِّ.

(٢)

تفاصيل

«الحكايا لا تؤلم.. التفاصيل وحدها تفعل !»



رقصة

كان يومًا قاسيًا، كل ما تمنت ألاّ يحدث لها أبدًا وقع في ذلك اليوم، والأسوأ، أنها لم تملك ما تواجهه به، كانت مستهلكة تمامًا، مرت بأيام أسوأ من قبل، ولكن كانت دائمًا لديها هذه الروح العنيدة التي تجبرها على الاستيقاظ صباحًا، رغم أنها متأكدة أن اليوم سيكون أسوأ من البارحة.

حتى البكاء، فشلت في استدعائه بكل الطرق التي جربتها آلاف المرات من قبل، يبدو أن الخدعة لم تعد تنطلي على غددها الدمعية! أو أن حصتها من البكاء انتهت منذ زمن.

كل سخطها انصبَّ عليه، تمنت أن تحكي له، أن يربت بصوته على وجعها، أو حتى يخدشه فتنفجر، لكنها لأسباب كثيرة من بينها فكرتها عن الكرامة، وعن الأشياء التي تفقد معناها

حين نطلبها، إضافة إلى القوانين الميتافيزيقية التي تؤمن جدًا بها، وتحتم، وفقًا لها، على من يحب أن يشعر بوجع محبوبه لم تلجأ إليه، وإن تمنت كثيرًا أن تفعل.
طال تعلق عينيها بالهاتف في انتظار أن يومض باسمه، حتى كادت تفقد أعصابها، التالفة بالفعل، فقررت أن تنشغل بأشياء هي أول من يعلم أنها سخيفة، لكنها فشلت في أن تشغل عقلها، وحواسها جميعها من التعلق بالهاتف، الذي رن بعد ساعتين فانتفضت فرحة، وكادت عيناها تدمع لولا أنها اصطدمت باسم مديرها في العمل.

قررت ألا ترد، ولكن أصابعها كان لها رأي آخر، كان يوبخها كعادته على أشياء كثيرة ليس من بينها شيء واحد ارتكبته هي! لم يعد بوسعها أن تحتمل أكثر، أغلقت الخط، ومن ثم الهاتف متظاهرة بأن بطاريته نفدت،

وهي تبتسم بمرراة: «ماذا أتوقع من يومٍ كهذا؟».

لا يزال الدمع عنيدًا، رغم أن عروقها تكاد تنفجر من احتقانها بالغيظ الذي حفز الدم سريعًا.

هي في الفترة الأخيرة، لم تبكِ أبدًا في الوقت المناسب! بينما تلقي الهاتف على الطاولة، لمحت أدوات تجميلها التي لم تمسها منذ قرابة الشهر، التقطتها بتردد، وبدأت تتزين في بطء، نظرت لنفسها في المرآة بثقة، بدأت ترقص ببطء، ثم بجنون، وكأنها تنفض كل ما بها من وجع، وسخط، وغضب، وخذلان.

لم تشعر بالوقت، ولا بالتعب، توقفت فقط حين شعرت بالراحة، وقفت أمام المرآة بثقة أكبر «أنا جميلة، فلتذهب إلى الجحيم أيها العالم».

أخطاء صغيرة

لـم تعاملـني أبـداً كطفلـة.. ولـم تغفـر لي خطـًأ واحـدًا في طفولـتي..ولا في صبـاي أو شـبابي، ولا حـتى تلـك الحماقـات الصغـيرة، الـتي يرتكبهـا الأطفـال ويتحـدث عنهـا آباؤهـم ضاحكـين.

تعلمـت دائمـاً أنـه لا سـماح عـلى الخطـأ ولا غفـران للذنب..وكـبرت وأنـا أخفـي عليـك أخطاء صغـيرة جـداً... عاديـة جـداً.. لكـن الإحسـاس بالذنـب كاد يقتلـني، كـبرت الآن وصرت نسـخة منـك.. لا مجـال للأخطـاء.. لا أغفـر ولا أسـامح، ليـس مـن حـق إنسـان - أيـاً كان - أن يخطـئ.

والآن..

هـل تتوقـع مـني أن أسـامحك حـين تعـترف لي أنـك أخطـأت في تربيـتي ؟!

هي.. وهي

كانـت المـرة الأولى الـتي تـرى فيهـا ملامحهـا عـن قـرب. تطلعـتْ إليهـا بنهـم، باحثـة عـن شيء واحـد يـبرر لزوجهـا أن يخونهـا معهـا. دققـتْ في كل شـبرٍ فيهـا وكأنهـا تلتهمهـا بعينيها،كانـت جالسـة عـلى بعـد عـشرات السـنتيمترات منهـا، لا تـدر لـمَ لـم تقـترب أكـثر.. هـل لأنهـا لـم تجـرؤ أم لأنهـا لا تطيـق أن تقـترب منهـا أكثر؟!! اجتاحتهـا مشـاعر متضاربـة ومتناقضـة لـم تسـتطع تحديدهـا بوضـوح.. إلا أن سـؤالاً واحـداً تـردد في عقلهـا ورفـض أن يبرحـه حـتى كاد يفتـت ذرات مخهـا وهـو يبحـث كالمحمـوم عـن إجابـة: «مـاذا فيـكِ أيتهـا اللعينـة كي يفضلـك عـليّ ؟»!!

كانـت هـذه المـرة الأولى الـتي تواجههـا بهـذا السـؤال.. كررتـه عـشرات المـرات كالمجنونـة لكـن... بـلا جـدوى، كانـت غريمتهـا مسـجية

علـى فـراش المـوت بعـد أن غـادرت عالمنـا قبـل لحظـات قليلـة.
نظـرت لهـا مـرة أخـيرة وقالـت «قتلتيـني بسـكين بـارد مئـات المـرات في حياتـك وأنـا أرى حبـه لـكِ ولهفتـه عليـكِ، وكتمـتُ غـيرتي بداخـلي وتظاهـرت بالغبـاء خشـية الفضيحـة، وخوفـاً ممـا يمكـن أن يفعلـه زوجـك.
والآن..
الآن حـتى بعـد مماتـك تقتليـني للمـرة المليـون وأنـا أرى حـسرة زوجـي عليـكِ، ودموعـه الحبيسـة الـتي تخـشى الفـرار - وان كانـت تتمنـاه – لمـاذا ؟!!
لمـــاذا ؟؟» وغـادرت الحجـرة لكنهـا قبـل أن تخطـو آخـر خطواتهـا خارجهـا كانـت سـامحتها وذرفـت الدمـع إشـفاقاً عليهـا، وهـي الـتي أقسـمت آلاف المـرات أنهـا لـن تسـامحها أبـداً.. وبرغـم هـذا فإنهـا لـم تسـتطع أن تسـامحه حـتى الآن.. ربمـا لأنـه لـم يمـت بعـد !!

أن يخدعك البعض لا يعني أن الجميع يفعلون!

لـم يعـرف أبـدًا مـن منهمـا المسـكين.. هـو لأنـه يعـرف الحقيقـة؟ أم أبـوه - أو بمعـنى أدق الـذي يظـن أنـه أبـوه - لأنـه لا يعرفهـا ؟؟ عـلى أي حـال، لـم يعـش والـده مسـكينًا لفـترة طويلـة، مـات بعـد أن عـرف هـو الحقيقـة بخمسـة أشـهر، وأعطتـه أمـه نصيبـه في المـيراث ثمنًـا لسـكوته. لـم يعـرف بالتحديـد هـل هـو ثمنًـا لسـكوته عـلى الحقيقـة الـتي عرفهـا.. أم تلـك الـتي يشـك فيهـا !

*****

كانـت الصدمـات الثـلاث المتلاحقـة موجعـة جـدًا وكادت تفتـك بكيانـه الهـش لكنـه تحمّـل وصمـد وحـاول أن ينـسى، أقنـع نفسـه أنهـا ليسـت نهايـة العالـم، وأن مثلـه مثـل كثيريـن في هـذه الدنيـا، وإن كان أفضـل حـالاً بقليـل،

فهو على الأقل تربى في ترف وهناء بدلاً من أن يصبح مجرد طفل شوارع آخر؛ حاول أن ينظر إلى الجانب المشرق من هذه الحقيقة السوداء، وأن يقنع نفسه بأن هذا أفضل من أن تكون تلك المرأة الخائنة أمه!

حاول أن ينسى حقيقته المرة ويتعايش مع الحقيقة التي يعرفها الجميع عنه، وحاول أن يفتح صفحة جديدة مع العالم، وقرر أن يحب وأن يجبر نفسه على الوثوق بأنثى كي لا تتربى لديه عقدة نفسية من النساء بسبب من كان يظنها أمه.

وبالفعل.. وقع في الحب.. بالمصادفة وليس عن سبق الإصرار والترصد..

أحبها بجنون وأنسته كل حياته، بكل مافيها مما كان أو سيكون.. علمته المعنى الحقيقي لكلمة: عش اللحظة !

كان يعيش معها اللحظة دون أن يفكر بأي شيء سوى أنه معها! ولم يتعمد الوثوق

بها هربًا من عقدة نفسية تهدده، لقد وثق بها لأنه أصبحت نفسَه. وأوشكت القصة أن تتوَّج بالزواج بعد أن أصبح ثملاً بها ولا يطيق فراقها حتى في ساعات النوم، فصارحها برغبته في الزواج منها، فتغير وجهها ولم ترد، أرجع السبب لخجلها، واعتبر صمتها موافقة.. وقرر أن يفاجئها ويطلبها من والديها دون أن يخبرها.. ذهب بالفعل ولكن المفاجأة كانت من نصيبه هو، ووالدها.. فهي متزوجة بالفعل منذ أكثر من عامين !!

*****

كانت هذه الضربة أقوى من أن يتحملها، فانهار تمامًا وحاول الانتحار أكثر من مرة.. أودعه أصدقاؤه بمصحة نفسية، ظل بها سنوات وسنوات، وطبيبه يحاول إقناعه بفكرة واحدة: « أن يخدعك البعض لا يعني أبدًا أن الجميع يفعلون»، حاول أن يقنعه بأن رفضه للحياة لن يجدي، وأن الدنيا

بهـا مـا يسـتحق الحيـاة، وأن هنـاك أناسـا يسـتحقون أن نحيـا لأجلهـم.. مـر عامـان بـلا جـدوى، لـم يتزحـزح عـن موقفـه أبـدًا، ولكـن مـع مـرور الوقـت بـدأ يلـين قليـلاً..

بعـد خمسـة أعـوام، خـرج للحيـاة مسـتبشرًا وقـرر أن يفتـح معهـا صفحـة جديـدة، واقتنـع أن النـاس ليسـوا جميعًـا خونـة ولا مخادعـين، هـو فقـط أساء الاختيـار. خـرج للعالـم للمـرة الأولى بعـد خمسـة أعـوام، لـم يفـارق فيهـم المصحـة ولـو ليـوم واحـد! أوقـف سيارة أجـرة كي يعـود إلى شـقته بعـد طـول غيـاب، فشـل في أن يجـد واحـدة شـاغرة تمامًـا فركـب في واحـدة بهـا راكبـان.

كان واضحًـا مـن جلسـتهما المتلاصقـة وأيديهمـا المتشـابكة أنهمـا عاشـقان، ابتسـم وتفـاءل ورأى أنهـا بدايـة مبـشرة لحياتـه الجديـدة. استمع لأطـراف مـن حديثهمـا دون أن يقصـد، وافـترض أنهمـا لا يعتـبران مـا يقولانـه سرًا

مادامـا يتحدثـان بصـوت عـادي ويـكاد يكـون مرتفعًـا.
كانـا يتضاحـكان ويسـخران مـن شـخص اسـمه «كريـم»، مـن سـذاجته و كيـف خدعتـه كي تسـتطيع أن تقابـل حبيبهـا، وكيـف تخدعـه كلما رآهـا تهاتفـه وتقنعـه أنهـا تكلـم صديقتهـا، وضحـكا كثـيرًا وهمـا يتذكـران مـا حـدث حـين كان حبيبهـا عندهـا في البيـت وعـاد «كريـم» فجـأة ونجحـا في إخفائـه بمعجـزة ! شـعر أنـه يحتقرهمـا، وفهـم أن «كريـم» شـقيقها وهـي تخـون ثقتـه لأنهـا عاشـقة طائشـة بعـض الـشيء.
بعـد دقيقتـين رن هاتـف الفتـاة فـردت وتصنعـت اللهفـة : «كريـم.. إزيـك يـا حبيـبي وحشـتني أوي». .....
- إوعـى تكـون مـا أكلتـش لحـد دلوقـتي يـا حبيـبي....... هههههههـه عارفـة طبعًـا، انـا كمـان مـا بيجيليـش نفـس آكل مـن غـيرك هانـت

يـا حبيـبي كلهـم كام يـوم وتييجـي أجازتـك.
اندهــش مــن نــبرة الصــدق في كلامهــا الــتي أقنعتـه حقًـا أنهـا تحـب كريـم، فالتفـت ينظـر إليهـا فوجدهـا تحدثـه في حـين تمسـك بيدهـا الأخـرى يـد عشـيقها وتدغدغـه برفـق !!

- آه يـا حبيـبي أنـا في تاكـسي رايحـة اودي مامـا للدكتـور تكلمهـا ؟ لأ مـش هينفـع.. تعبانـة أوي مـش قـادرة تتكلـم ولا حاسـة بحاجة.

حـاضر يـا حبيـبي هقولهـا انـك سـألت عليهـا سـلام بقـى علشـان وصلنـا لالالا إقفـل انـت الأول.. لا إلـه الا الله بصقـت بصقـة وهميـة عـلى الهاتـف بعـد أن أغلقـت الخـط و لعنـت كريـم ثـم واصلـت مـا تفعلـه مـع عشـيقها.
لـم يتحمـل أكـثر مـن هـذا، فأمـر السـائق أن يتوقـف.. لـم يشـعر بنفسـه إلا وهـو يتقيـأ في الشـارع.. لمـح سـيارة قادمـة بسرعـة مـن بعيـد فوقـف متأهبًـا حـتى اقتربـت فألقـى نفسـه أمامهـا.

فوتوغرافيا

لـم يكـن خلافهمـا الأول، ولـم يختلـف هـو عـن كل مـرة.. لكنهـا هـي الـتي تغـيرت، كأنهـا تلقـت ضربـة قويـة عـلى رأسـها فأفقدتهـا الذاكـرة أو ربمـا أعـادت لهـا ذاكرتهـا و نفسـها.

لـم تعـد قـادرة عـلى اسـتيعاب أنانيتـه أكـثر مـن هـذا، فانفجـرت فيـه للمـرة الأولى منـذ سـنوات، لـذا قـرر أن يبتعـد كي يؤدبهـا عـلى وقاحتهـا!

في اليـوم التـالي تأنقـت وتجملـت كمـا تفعـل دائمـاً وهـي في طريقهـا إليـه، ثـم اتجهـت إلى ورشـة التصويـر الفوتوغـرافي الـتي كانـت سـبب خلافهمـا الأخـير، لـم تكـن الورشـة مهمـة بالنسـبة لهـا إلى حـد الثـورة عليـه، ولكـن حـين رفـض انضمامهـا إليهـا دون أي مـبرر أو نقـاش ولا حـتى تفكـير، ومضـت في ذاكرتهـا فجـأة كل الفـرص الـتي أضاعتهـا بسـببه، وكل الأشـياء

الجميلـة الـتي كانـت تمـلأ حياتهـا قبلـه وهجرتها لأجلــه.
تذكــرت كل المــرات الــتي خيّرهــا فيهــا بــين وجــوده في حياتهــا وبــين أشــياء صغــيرة تافهــة لــن يــضره وجودهــا في شيء، بــلا أي مــبررات.. فقــط لأنــه يريــد ذلــك!
«إحنــا مخدوعــين أوي في حاجــات كتــير في الفوتوغرافيــا، زي مــا احنــا مخدوعــين في الحيــاة بالظبــط، عشــنا طــول عمرنــا بنعمــل حاجـات فاكرينهـا صـح، لكـن الحقيقـة إنهـا مـا بتعملــش أي حاجــة غــير إنهــا بتبــوظ الصــورة وخــلاص....»
عاشــت خمــس ســنوات مخدوعــة فيــه، كانــت تفــسر أنانيتــه حبــاً، وتحكماتــه غــيرة، وقســوة كلماتـه عفويـة ووضـوح. وكانـت تقابـل كل هـذا بالمزيــد مــن الحــب ! يقســو فتحنــو، يعانــد فترضــخ، يبتعــد فتقــترب.
كانـت تظـن أن هـذا هـو التكامـل الـذي يقولـون

أنه ضروري جداً في الحب، وتظن تصرفاتها حكمة لكنها اكتشفت أنها كانت تزيد الأمور سوءاً.

« الزوم مثلاً.. فكرتنا عن الزوم اننا بنخلي العدسة تقرب من العنصر اللي احنا بنصوره، دي خدعة كبيرة جداً.. احنا مش بنقرب من العنصر إحنا بس (بنضيق زاوية الرؤية عليه) علشان ما نشوفش حاجة تانية ونركز أكتر عليه هو وبس.. فبنتخيل اننا قربنا منه».

تَصّبَرت كثيراً بوهم أنه الأقرب لها وأنها الأقرب له، لذا عليها أن تتحمل قليلاً لأن تفاهمهما يستحق. ظنت أنها عرفت كل تفصيلة في شخصيته.

الآن فقط اكتشفت أنها فقط أغلقت مجال رؤيتها عليه، لم تعرف غيره، لا نساء ولا رجال، كان الأوحد في عالمها، زملائها في العمل تجنبتهم بكل الطرق الممكنة، أهملت

صديقاتها لأجله، خسرت الكثيرين بسبب معاملتها غير الودودة، بينما هو لم يخسر أي شيء ليوهمها حتى أنه لها وحدها!

«في حاجات بنشوفها في الصورة كبيرة جداً والحقيقة انها صغيرة، وحاجات بنشوفها صغيرة رغم انها في الحقيقة كبيرة.. الفكرة كلها في زاوية الرؤية....» .

رأى الجميع أنها تعطيه أكثر من حقه، ولم تصدقهم أبداً.. كانت تظن أنها الوحيدة التي تعرف قدره الحقيقي، لأنها تظن أنها الأقرب له، كانت تظن أنهم يرونه بعين الحاقد، اكتشفت فجأة أنها الوحيدة التي تحتاج لرؤيته من زاوية طبيعية !

«في حاجات ممكن تبوظ الصورة لو ظهرت، علشان نتخلص منها من غير ما نغير زاوية الرؤية ممكن نعمل زوم على عنصر تاني في الصورة..» .....

الآن فقط عَرِفَت كيف تتخلص منه !

الرسالة / الكابوس

لا أذكر مما حدث سوى أن الصدمة سمرتني أمام وجه ذلك الطفل الذي يشبهني كثيراً وهو مُعَلَق على ارتفاع سبع طوابق عن الأرض.

فشلت عيناي في تجاوز ملامح وجهه المذعورة وهو يدرك تماماً أن مصيره مُرتَبِط بمدى صلابة حبل الغسيل الذي يتمسك به. توحَدتُ مع لحظة سقوطه.. شعرت بكل خلاياي تسقط لأسفل وتتناثر في الهواء... ثم استيقظت قبل أن يصل جسده للأرض لأكتشف أنه أنا!!!

****

إنه ذلك الكابوس اللعين يطاردني مجدداً ! منذ طفولتي يتكرر بنفس تفاصيله.. بنفس الوجع الذي يمزق كل خلاياي فيُفسِد عليّ

فرحتي بأي إنجازٍ أحققه.
لا أحتاج لخبير كي أفسره، فرسالته واضحة..
سأنجح حتى يشق صَيتي السماء ثم يتهاوى
كل شيء في لحظة.. كـ قلعة رملية محتها
موجة هوجاء.
ذلك الإصرار الذي يطاردني به منذ طفولتي
أكد لي أنه ليس مُجَرد حلم، وأنه قدرٌ
محتوم وربما رسالة سماوية، دفعتني
تلك الفكرة مراراً إلى التفكير في ترك العمل
والاستسلام للفشل لأنه ما مِن جدوى..
كل شيء سينهار في النهاية فعلام التعب؟
وفكرتُ أيضاً في الانتحار..
ولكنني كنتُ أجبن من أن أنفذ أي الفكرتين
فقررتُ أخيراً أن أنتظر اليوم الذي يتحقق
فيه الحلم باستسلام.
العجيب أني منذ استسلمت لهذه الفكرة
الأخيرة تباعدت زياراته لي كثيراً، ولكن..
لا أعرف ماذا دهاه هذه الأيام.. لماذا

يطـاردني بـكل هـذا الإصرار يومياً منـذ أسـبوع؟؟
«آه... ما هذا.. أووووووه اللعنة..
آاااااااااااااااااااااااااااااااااااااه»
****
سبع درجات تقتل رجل أعمال شهيرا!
القاهــرة - فايــز النبــوي: لقــي رجــل الأعمــال الشــهير محســن أبــو المعــالي مصرعــه إثــر تعرضــه لحــادث أليــم ومثــير للدهشــة في الوقــت ذاتــه، حيــث زلــت قدمــه فجــأة وهــو يهبــط سـلم الطابـق الأول للبنايـة الـتي يسـكن فيهــا، والــذي يبلــغ ارتفاعــه ســبع درجــات فقــط!!
أي مـا يسـاوي أقـل مـن متـر واحـد ولكنـه لقـي مصرعـه عـلى الفـور.

هي وهي (٢)

أسَلَمت رأسـها لزجـاج نافـذة الحافلـة بهـدوء، لعـل ضوضـاء الشـارع، والمطبـات، واهـتزاز الزجـاج تجعلهـا تتوقـف قليـلاً عـن التفكـير!

....

لا فائـدة!! أخبرتهـا قطـرة الدمـع الدافئـة الـتي سـقطت عـلى أصابعهـا دون أن تشـعر أنـه لا فائـدة، حـتى المواصـلات، طريقتهـا الناجحـة دائمًـا في صرفهـا عـن التفكـير لـم تفلـح في طـرده مـن عقلهـا. تعـترف لنفسـها أنهـا تفتقـده، تعـترف أنهـا فعـلاً لا تطيـق الأيـام الـتي لا يملأهـا وجـوده... و لكنهـا تعـترف أيضًـا أن كبرياءهـا يمنعهـا مـن البحـث عنـه..

هـو مـن أخطـأ، هـو مـن تغـير، و هـو أيضًـا الـذي ابتعـد!

أرهقهـا التفكـير في الأسـباب طويـلاً.. أرهقتهـا

مكابرتها، أرهقها أن تمنع نفسها من الاطمئنان عليه ولو من بعيد.. ودون أن يعرف!

اعتبرت الطريقة الوحيدة لنسيانه.. تجاهله. ولكنها فشلت.. فكرت أن تشغل نفسها بثرثرة الفتاتين المجاورتين لها، التفتت التفاتة خاطفة.. فرأت دبلة جديدة تلمع بين أصابع الفتاة التي تجاورها.. ابتسمت بمرارة، وتمنت لها السعادة.. ولنفسها أيضًا.. واعتبرتها بشرى سعيدة، ورسالة جديدة من الله لها، تطمئنها وتهدهد روحها. بدأت الفتاة تحكي عن خطيبها، و هي بلا وعي تقارن بينهما.. وتتخيل نفسها مكانها. لم تتخيل يومًا ما أن تجلس هكذا تسترق الحكايا من العابرين، ولم تتخيل يومًا ما أن يعذبها الحنين بمثل هذا القدر.. و لم تتخيل أن تلتفت بحدة، حين همت الفتاة بفتح هاتفها، لتشاهد صديقتها صورته.. وبالتأكيد لم تتخيل أبدًا.. أن تراه «هو».

معايدة

كل عام، تنتظر هذا اليوم، بالضبط فور أن ينقضي اليوم نفسه من العام السابق، حين ينتهي اليوم وينسى كعادته، تقرر أنها لن تنتظره مجددًا، ولكن.. بعد أيام حين يعدها أنه في العام المقبل لن ينسه أبدًا، تشتعل بالأمل ثانية، وتبدأ في انتظار يطول عامًا كاملاً. دقات الساعة اللعينة تحرقها، كل دقيقة تراودها فكرة، كل دقيقة تقرر فيها ألف قرار، من بينها أنها ستتركه، وأنه لم يعد يحبها، وأنه لم يعبأ بها أبدًا، وأنها حمقاء.

كل مرة يرن فيها الهاتف يعرف قلبها معنى قسوة الخيبة بعد اشتعال الأمل، معايدات أصدقائها تتحول من سبب لسعادتها لمحفز

قـوي لدموعهـا. حـتى معارفهـا، حـتى أولئـك الذيـن لا تذكـر أصـلاً كيـف عرفتهـم ، يتذكـرون، يخبرهـم «الفيسـبوك» نعـم ، ولكـن هـو أيضًـا لديـه حسـاب لعـين عليـه يذكـره بطـوب الأرض إلا هـي!

أحيانًـا تفكـر أنـه يتعمـد أن يحـرق قلبهـا لسـبب لا تعرفـه، يتعمـد أن يتجاهلهـا للانتقـام منهـا للسـبب نفسـه، تقـرر أن لا تهتـم ، الجميـع يحبونهـا، هـو لـن ينقصهـا ولـن يزيدهـا، تبـكي وهـي تعـترف لنفسـها، أنهـا تحبـه، أن الجميـع في كفـة وهـو الميزان كلـه، أنـه بالفعـل وحـده الـذي «ينقصهـا».

بعـد أيـام ، يتصـل، يلعـن نفسـه، يعتـذر، يعدهـا أن يتذكـر في العـام المقبـل، يلعـن نفسـه مجـددًا، ويبـكي، يـرق قلبهـا، فتبـكي لأجلـه، يخبرهـا أنـه يكـره نفسـه، فتنهـار آخـر

خطـوط مقاومتهـا، تخـبره أنهـا حقًّـا لا تهتـم، تقسـم لـه أن يـوم ميلادهـا الحقيقـي يـوم التقتـه، يهـدأ، فتهـدأ، يتكلمـان في أي موضـوع، يغلـق الخـط، تبـكي بحرقـة.. هـو حـين تذكـر فعـل/ قـال كل شيء، ولـم يقـل «كل سـنة وانـتِ طيبـة»!

حَلَبِسّة

يقرصه البرد فيلتفت إليها، يستمد بعض الدفء من قسمات وجهها الحنون الراضية، يراها رغم كل تِلك التجاعيد عروسا في العشرين..

تلتفت إليه فيبتسم ويسألها «ما تيجي أعزمك على حَلَبِسة ؟» تبتسم «بشرط تعزمني في الزمالك» «موافق.. يلا بينا»

****

هو لا يعرف أنه يعشقها، لكنه لا يتخيل الحياة دونها.. وهي كذلك.

يتدثران ببعضهما كل ليلة ويهيمان سوياً ابتغاءً للرزق.. لا تفعل شيئاً معه ولكن وجودها وحده يكفيه، ويملأ نَفسَه حباً لها ورضا بها وبحياته.

كلمـا طافـت بعينيـه متاعـب مشـوارهما سـوياً يشـعر نحوهـا بإجـلال وحـب يعجـز عـن التعبـير عنـه، ولا يجـد مـا يفعلـه إلا أن يقـول «تيجـي اعزمـك عـلى حَلَبِسـة ؟»

فتغمرهـا سـعادة كالطفلـة وتختـار كل مـرة مكانـاً جديـداً لِدعوتـه... فيدفعـان العربـة سـوياً إلى أن يصـلا إلى المـكان الـذي اختارتـه.. يُجلِسـها عـلى أي رصيـف كملكـة.. ويتجـه إلى عربتـه يختـار أفضـل أكوابـه، ويملأهـا بالحُمص الـدافئ.. يضـع عليـه خلطتـه ويقدمـه لهـا عـلى طبـقٍ مـن حـب، ورضـا وامتنـان.. فترفـض أكلـه إلا إذًا شـاركها مثلمـا تُشـارِكه العمـر.

ستكتب عنهم

لا يمكن أن نتهمها بالترف، ولكنها كانت تعيش حياة يحسدها عليها الكثيرون.. على الأقل أولئك الذين لا بيوت لهم!
وحين قررت أن تكتب عنهم لم تكن تتخيل أبداً أن وضعهم بهذا السوء.
ظلت لأسابيع تقابلهم في كل مكان، تزور بيوتهم وتسمع شكواهم نهاراً، وتزورها صرخاتهم ليلاً تستحلفها أن تكتب عنهم... لعل وعسى!!

و بعد أسبوع واحد سقطت فريسة الاكتئاب والمرض، ولكنها استجمعت قواها وكتبت بكل ما تحمل من صدق همومهم وحملتها لرئيسها وهي مُثقَلة بالأسى.. تمنت أن ينشر كل ما كتبت كي تفي بوعدها لهم، ولكنه

نظـر إلى مـا كتبتـه بـلا اكـتراث وأخـد قلمـه وبدأ يُعـدِل في الموضـوع متأففـاً.. أضـاف مشـكلات وهميــة وحــذف أخــرى حقيقيــة «عايزيــن نحَبِــش الموضــوع».

ذُهِلَـت مـن المسـخ الـذي وُلِـد عـلى أوراقهـا، مـرت صورهـم البائسـة كلهـا أمـام عينيهـا في ثــوانٍ، وعــلا صراخهــم المتوَسِــل في أذنهــا .. فوجـئ بهـا تـصرخ في وجهـه «حـراااااااااااام عليــك»، وســحبت أوراقهــا مــن بــين يديــه وخرجــت إلى الأبــد مــن الجريــدة.

****

[Flash back]

«يــااااااه يــا بنــتي أنــا همــي كبــير أوي.. أنــا نِفــسي أتكلــم مــن زمــان»

«أنا مش مصدق إن في صحفيين جم هنا!!

أنــا كنــت فاكــر إن ماحــدش عــارف إننــا موجوديــن أصــلاً !!»

« يارب ما تشوفي المرض يا بنتي ولا الذل»
« بجد هتكتبي حكايتي ؟!!!!!»

******

لـم تفارقهـا كلماتهـم أبـداً، ابتسـاماتهم، بريـق عينيهـم حـين تخبرهـم أن هنـاك أمـل في أن يُسـمَع لهـم صـوت، خجلهـم مـن عدسـات الكامـيرا الـتي تحـاول اقتحـام ملامحهـم ودنياهـم. حاصروهـا تمامـاً حـتى جافاهـا النـوم عـدة ليـالٍ وكادت تجـن.

*****

مُنـذ عـام وهـي تـنزل كل صبـاح، معهـا دفترهـا وقلمهـا والكامـيرا، تقابلهـم في كل مـكان، وأي مـكان.. تُنصِـت إلى شـكواهم.. وتـدون ملاحظاتهـا وتبتسـم كلمـا لمـع في عـين أحدهـم بريـق أو تنهـد بارتيـاح بعـد أن أفـرغ مـا في صـدره.. تلتقـط صورهـم وتعدهـم

أن تكتب عنهم.. وتعود إلى البيت فتكتب عنهم في دفترها الأسود الكبير، وبعد أن تنتهي تربت بحنو على صورهم وتضعها إلى جانب قصصهم.. وتنام بعمق.

فكرة

«الألـم مجـرد فكـرة، المـرض مجـرد فكـرة، الحيـاة والمـوت... مجـرد فكـرة، وكل شيء عـلى هــذه الأرض.. محــض فكـرة « هكــذا أقنعــني أبي، وأنـا اقتنعـت بسـهولة بكلماتـه، ليـس فقـط لأني أعشــقه، ولا لأنــه كل عالمــي.. بـل أيضـاً لأنـه كان مؤمنـاً جـداً بهـذه الأفـكار فانتقلـت لي العــدوى.

كنـا نحيـا وحدنـا بعـد وفـاة أمـي، حـين علمـني أبي درسـه الأول «الحـزن مجـرد فكـرة»، لا وجود ماديـا للحـزن.. نحـن مـن نخلقـه، نحـن مـن نسـمح لـه بـأن يقتلنـا أحيانـاً، أو يحفزنـا عـلى النجـاح في أحيـان أخـرى.

علمـني أن حـزني عـلى أمـي لـن يفيدهـا بـشيء لـو سـمحت لـه أن يقتلـني بل عـلى العكـس، إذا جعلـت مـن حـزني عـلى فراقهـا حافـزاً للنجـاح

والاستمرار قوية في حياتي فسيسعدها هذا كثيراً.

- ولكن يا أبي، بما إن حزني لن يفيدها في شيء.. نجاحي أيضاً لن يستطيع إسعادها!

لا يا صغيرتي.. سيسعدها.. سيسعدها كما لو كانت موجودة بيننا.

اسمعي يا صغيرتي... الحياة والموت.. مجرد فكرة.. يمكنك أن تبعثي في أمك الحياة طالما وضعتِ هذه الفكرة في عقلك ستظل حية بيننا.. لن تموت إلا إذا صدقنا أنها ماتت.. الموت والحياة مجرد فكرة....

وكان هذا الدرس الثاني الذي علمني أبي إياه.

*****

حظيت بحياة مثالية... نعم، الحياة حين تستمر بدون ألم، أو حزن، أو فشل هي بالفعل حياة مثالية.. أن تستمر الحياة كما أريدها.. مهما كانت الظروف المحيطة.. تكن

حياة مثالية.. لم أكن أمرض أكثر من دقائق، بمجرد أن تغزو فكرة المرض أو التعب عقلي أهاجمها بشراسة حتى تنسحب خائبة.. بعد عدة هجمات لم أعد أشعر بالألم حتى ظننت أنه فقد الأمل في هزيمتي.

ظننت أني تحولت إلى كائن أسطوري، نجاحي في عملي كان مبهراً ومثير للشكوك أيضاً لمن لا يعرفني جيداً، لقد تقدمت كثيراً في عملي حتى تخطيت من يكبرونني بعشر سنين.

لم أر في هذا شيئاً غريباً، فأنا أعمل كآلة صماء، بدون كلل ولا ملل ولا لحظة ضعف أو انهيار واحدة.

فجأة هاجمني الوحش الذي سرق أمي، وعاد الألم، بكل قسوة، لأول مرة أعرف الانهيار، رغم إيماني بأن المرض مجرد فكرة.. إلا إنني لم استطع الهرب من صورة أمي وهي تصارعه ولا يربطها بالحياة إلا عدة أنفاس

تصلها عبر الأجهزة الطبية والأسلاك، وكادت الصورة التي تأبى أن تغادر خيالي أن تهزمني لولا وجود أبي.

أعاد أبي لي إيماني السابق بأن المرض مجرد فكرة، ذكرني بأني أقوى من الألم.. ذكرني بعدد المرات التي هزمته فيه.. كان دفاع أبي مهزوزاً ربما بفعل الزمن أو بفعل الخوف علي، لكنه ساعدني كثيراً..

تشبثتُ بالحياة وقاومت المرض بصورة أذهلت أطبائي..

استعنت بالله كثيراً، استعنت بأمي..

نعم عادت أمي للحياة مرة أخرى، كلما اشتد عليّ الألم كانت تأتيني تأخذني بين ذراعيها وتحكي لي حكايا مسلية حتى أنساه فأنام.

في البداية كنت أتعمد استحضارها بعقلي، لكن مع مرور الوقت كانت تشعر بي وتأتيني كلما احتجتها، حتى تخطيت هذه المحنة

في وقـت خـرافي بالنسـبة لتاريـخ هـذا الوحـش الضـاري، فقـررت أن أحاربـه حـتى بعـد أن انسحب مـن جسـدي.. كنـت أحاربـه في أجسـاد الآخريـن. خصصـت جـزءا مـن وقـتي لزيـارة مـرضى السرطـان، كنـت أعـرض عليهـم أوراقي الطبيـة أثنـاء المـرض وبعـد شـفائي منـه.. وأحـكي لهـم قصـتي في مقاومتـه، صحيـح أني أقنعـتُ القليلـين بالفكـرة، إلا إنـني بعثـتُ الأمـل في نفـوس الكثيريـن.

****

كنـتُ لا أزال في فـترة النقاهـة حـين وقـع الحـادث الـذي تناثـرت تفاصيلـه مـع الوجـع الـذي ولـد في كل خليـة مـن جسـدي، كل مـا أدركتـه أنـه حـادث سـيارة. فقـدتُ الإحسـاس بـكل شـبر مـن جسـدي، لكـن عقـلي كان لايـزال نابضـاً وبكامـل حيويتـه. لـم أشـعر بـأي ألـم حـتى أحاربـه! كنـت معلقـة بـين الحيـاة والمـوت فاقـدة حـتى نعمـة الإحسـاس بالألـم.

سمعتُ كل حرف قاله الأطباء عن حالتي وأنا لا أقوى حتى على فتح جفوني.. لم أكن أتألم.. كنت أشعر أني بخير لكن هناك شيء ما ليس على ما يرام وسيتحسن بالتأكيد..أنا حيّة طالما أفكر، أنا حية طالما لم أصدق أني سأموت بعد.

ما ساءني فقط هو انهيار أبي، أضعف كبر السن إيمانه بأفكاره لكنني كنت أتبناها بقوة.. الحياة والمرض والألم والموت مجرد فكرة يا أبي.. لا تحزن ! لم أستطع أن أكلمه للأسف.. ولا حتى أن أراه، أو أكلمه بعيني لقد كان بارعاً في فهم كلام عيوني، فكنت اطمئن على حالته من صوته.. كان دائماً يحدثني وكأنه يعلم أني اسمعه.. وكنت أسمع حديثه مع الأطباء..

****

أخيراً أدركوا أني أسمع ما حولي.. قالوا لأبي اليوم أنني أستطيع سماعه.. يا رب بث الأمل

في نفسه.. يا رب ألهمه أني بخير أني لا أتألم.. سيكون كل شيء على ما يرام.

***

اليوم أكمل يومي الخامس عشر في الغيبوبة، هكذا قال أبي للأطباء مستفسراً منهم عن سبب ثبات حالتي.. لا يمكن أن يسميه استقرارا لأن الاستقرار يعني أن الأمور على ما يرام.. لكن حالتي لا تتحسن ولا تسوء.. فلماذا؟؟

بدأ أبي يفقد أعصابه فحاول الطبيب تهدئته مذكراً إياه بأني أشعر وأسمع كل ما يدور، أخذ أبي خارج الغرفة ولم أعد أسمع إلا بضعة حروف متناثرة من كلامه.

لا تقلق يا أبي.. إني أحضر لك مفاجأة سعيدة.. أشعر أني بدأت أتحسن.. أشعر لأول مرة منذ خمسة عشر يوماً بوخز خفيف في كعب قدمي وباطنها، الوخز يصعد لأعلى ويبدو أن الشلل بدأ يلملم نفسه من جسدي

وينسحب.. سأنتصر مرة أخرى على الألم يا أبي.
لا يزال الوخز يتصاعد لأعلى لكنني لا أستطيع تحريك أصابع قدمي كما توقعت!!
ربما السبب يرجع لخمول أعصابي التي نسيت الحركة طوال هذه الأيام؟!
ربما.. عاد أبي للغرفة ومعه الطبيب..أتوا مسرعين فور أن أطلقت الأجهزة المتصلة بجسدي أزيزًا متواصلاً غريبًا.. عليكِ اللعنة أيتها الأجهزة هل ستفسدين مفاجأتي لأبي ؟؟ هل ستخبرينه بشفائي قبل أن أفعل؟؟
همس الطبيب في أذن أبي بكلماتٍ لم أستطع تبينها.. أتوقع أنه يخبره بتحسن حالتي.. لكن عجباً لماذا علا نحيبه؟؟
أمسك أبي بيدي ولازال يبكي !! ربما هي دموع الفرحة؟! «**سأفتقدك يا صغيرتي.. سأفتقدك كثيراً....**
ماذا تقول يا أبي ؟؟ سأشفى.. سأتحسن..

سـأفتح عيـني بعـد دقائـق

«أنا أعلم أنك تسمعينني.. أتلي الشهادتين يا بنيتي»..

أردد ماذا ؟ الشهادتين ؟؟ هل أموتُ حقاً ؟؟

هل انتهت حياتي ؟؟

...«رددي بعدي..لا إله إلا الله.. محمد»...

كيف تنطقها يا أبي ؟؟ كيف تكون بهذه القسوة ؟؟ كيف تخبرني أنك فقدت إيمانك بأني سأحيا؟؟ لماذا صدقت أني سأموت؟ وكيف؟؟ حتى أنت يا أبي؟؟ حتى أنت؟؟

لن أواصل المقاومة.. سأنسحب الآن وسأسحب مفاجأتي لك لن تجدي معركتي مع الألم طالما استسلمت أنت..

استسلم المحارب الوحيد معي فلماذا أُقاتل؟؟ سأنسحب بهدوء.. فأنا مجرد فكرة.. فكرة لم يعد يؤمن بوجودها أحد!

هذيان

الحلم المرعب سيتكرر حتى تحكيه، هل هو بالفعل حلم؟ هذا الذي يتكرر بالتفاصيل نفسها، ووطأته على قلبها نفسها!
الحيّل التي يجربها جسمها لا إراديًا من أجل أن تفيق وتغادر الحلم سريعًا لا تفلح.. حيلها التي تمارسها وهي في المنطقة الوسطى بين الوعي واللاوعي لم تفلح..
إلحاح المنبه كل خمس دقائق لم يفلح.. لا شيء ينقذها من هذه اللحظات المرعبة التي ترى فيها النهاية.. ليست نهاية العالم.. هي نهاية الإنسانية..
هل هي نبوءة؟ ربما ! هي في كل ليلة ترى سخافات تشبه تلك التي تراها في أفلام الرعب المبتذلة، ولكنها في الحلم لا تبدو كالسخافات.. هؤلاء الذين يزورونها مرارًا

جادين أكثر من اللازم.. جادين بطريقة تجعلك تضحك إن لم يكن هذا الحلم يخصك، إن لم تكن تشعر بهذه الرهبة كلها.. إن لم تكن تعيش هذه اللحظات بحذافيرها للمرة التي لا تعرف عددها.

في المعتاد، يقتل التكرار الخوف والرهبة، ويُفقِد كل شيء معناه.. إلا أن تكرار هذا الحلم لم يزدها إلا رعبًا.. وتكرار فشل محاولاتها لحكيه رغم تذكرها كل تفاصيله تضاعف هذا الرعب... هذا ما يجعلها تكاد تموت تعبًا ولكنها تتردد في النوم..
هل هي رؤيا؟ ربما! ولكنها في هذه اللحظة بالذات أبعد ما يكون عن تلك الشفافية الروحانية التي تؤهلها لتلقي رسائل من العالم الآخر! يرد صوت داخلها يجعلها تتساءل هل انحطت للدرجة التي تجعلها تستقبل رسائل من شياطين؟

لا ليسوا شياطين.. الشياطين أكثر ودًا وهذا سر نجاحهم!
بالمناسبة، أحمق من يصف الرعب الشديد بأنه شيطاني، الرعب الذي تنجح في توصيفه ليس رعبًا!
هو مجرد خوف صبياني لا أكثر.. أكثر ما يرعبك فيما هو مرعب بحق.. هو عجزك عن وصف ما تمر به.. هو أملك الضائع في أن يفهمك أحد.. هو شعورك بأنك رأيت ما لم يره أحدهم أبدًا بالتالي لم يصفه!
وهذا في حد ذاته قمة الرعب!

لقد شردت مجددًا.. أين كنا؟
آه.. كنا نتناقش بشأن أهليتي لاستقبال رسائل، علوية أو سفلية، في الحالتين.. محاولة هؤلاء الذين لا أعرفهم، أيًا كانوا، في إرسال رسالة.. سواء كانت عبريّ أو إليّ توحي كثيرًا بعدم جديتهم.. لو أنهم ينوون حقًا

تنفيـذ مـا يهددونـني بـه كل ليلـة، لمـا احتاجـوا لإرسـال رسـائل.. وهـذه هـي الفكـرة الوحيـدة الـتي تجعلـني الآن آوي إلى فـراشي.. في انتظـار الحلـم.. برعـبٍ أقـل.

السبت ٦ ديسمبر

السبت ٦ ديسمبر / الخامسة عصراً

هي:

«سبع سنوات من الانتظار والترقب والقلق، واليأس بعد ميلاد الأمل حتى جاءت هذه اللحظة، اليوم سأرى انتصاري الصغير على الهرمونات واضطرابات الرحم والتحايل على جسدي الذي تحول إلى حقل تجارب حتى يقبل أخيرًا باحتضان حلمي الصغير.

اليوم أراه فأنسى كل هذا الوجع والشعور بالانتهاك، هذه اللحظة تستحق.. حقًا تستحق».

هو:

«لازلت عاجزًا عن التصديق أن الحلم تحقق بالفعل بعد أن روضت نفسي طويلاً لتقبل عدم وجوده، اليوم فقط أشعر بانتهاء

السبع العجاف وأرزق الفرحة الحقيقية التي يتضاءل أمامها كل وجع.. هل سأصدق حين أراه؟ أم فقط حين ألمسه؟».

تلاقت عيناهما وابتسما وكأن كل منهما سمع ما يدور بخلد الآخر، تسارعت خطاهما ليلحقا بميعاد الطبيب، ففي السابعة بالضبط موعدهما الأول مع ابنهما. حاولا اللحاق بأي سيارة أجرة بأي ثمن، فالوقت يجري ومشوارهما يستغرق ساعة ونصف.

****

بعد معاناة لحقا بآخر مقعدين في سيارة الأجرة الوحيدة التي توقفت، كان المقعدان متباعدين فترددت كثيرًا في الصعود، واقترحت أن ينتظرا دقائق أخرى «كنت عايزة أقعد جنبك يا عزيز!»

«معلش يا حبيبتي هنعمل إيه.. اركبي بس عشان نلحق الدكتور»

ركب في المقعد الأخير ليجنبها المطبات،

وركبت أمامه بمقعدين.. وأخيراً تحركت السيارة.

السبت ٦ ديسمبر / السادسة مساءً
التفتت ونظرت إليه نظرة طويلة لم يفهمها.. سألها بعينيه إن كان هناك خطب ما؟
فأومأت برأسها أن لا؛ ثم أخرجت هاتفها المحمول وبدأت تكتب له رسالة قصيرة – كما تعودا دائماً حين يريدان الحديث بعيداً عن آذان المتطفلين..
كتبت وهي تبتسم «هيجي ولد، وهيبقى شبهك إن شاء الله، بس تفتكر ممكن يجي في الدنيا دي حد بحنانك ؟!».
وصلته الرسالة فابتسم وكتب «لأ هتيجي بنت علشان تبقى زيك.. بس ما اظنش هتبقى في جمالك، انتي معجزة مش هتتكرر تاني»، وصلتها رسالته فالتفتت له وابتسمت

بحب مشوب بالعناد، وكتبت له «لآ ولد وشبهك»...
هم أن يكتب لها للمرة الثانية لكن فجأة ارتجت بهم السيارة، وفي ثوانٍ وجد نفسه ملقى على الطريق. صدمتهم سيارة بعد أن انفجر إطارها الأمامي وفقد سائقها السيطرة عليها، فدخلت بالضبط في منتصف سيارتهم و أطاحت بنصفها وأطاحت بزوجته بعيدًا.
جرى إليها صارخاً «مرااااااااتي.. ابني»

احتضنها وهاله ما أصابها، أطاح الحادث بجزء من رأسها، نظرت إليه وابتسمت ابتسامة متهالكة «أخيراً صدقت انه ولد» وانتفضت بين يديه ثم سكنت للأبد.

السبت ٦ ديسمبر/ الحادية عشرة مساءً
دخل بيتهما، من دون زوجته، حبيبته وصديقته، من دون طفل.. ولا حتى صورته،

لا يعـرف حقـاً هـل مـا واراه الـتراب منـذ لحظـات، هـو فقـط جثمـان زوجتـه وطفلـه أم وارى حياتـه بأكملهـا الـتراب، حياتـه كلهـا ماضيـه وحـاضره ومسـتقبله.. أحلامـه الـتي لـم تكتمـل.. ضحكاتـه الـتي كان سيقتسـمها معهـا.. ودموعـه الـتي لا تنهمـر إلا بـين يديهـا.

لـم يتبـق مـن حياتـه إلا بقايـا ضحكاتهـا الـتي علقـت في جـدران شـقتهما.. رائحتهـا.. ملابسـها.. وبقايـا طعـام أمضـت نهارهـا في إعـداده ولـم تتذوقـه «مـن الفرحـة مـش قـادرة آكل، مـش هـاكل إلا لمـا أشـوف ابننا في السـونار النهـاردة»، شـعر كأنمـا انتقـل مـن دهـر إلى دهـر.. ولكـن الرزنامـة تؤكـد أنـه لا يـزال يعيـش يـوم السـبت ٦ ديسـمبر.

انتهاك

«ألـو... انـا آسـفة!... آلـوو...... أرجـوك رد عليـا..
أرجووووووووك

- نشيج -

تيييت تيييييت تيييت

*****

تسـارعت نبضـات قلبهـا مـع صـوت الصافـرة، لـم يقبـل اعتذارهـا. تعـذره.. مـا فعلته لا يغتفـر! ولكن.. لـو يفهـم فقـط أنهـا فعتـه لأنهـا تحبـه! لمـاذا يعجـز عـن تفهـم هـذه الفكـرة رغـم تفاهمهمـا المدهـش!!

وصلتها رسالة، فانتفضت وهرعت إلى هاتفها..

لقـد سـامحها أخـيرًا!!! كانـت واثقـة أنـه سـيفعل، يقولـون دائمًـا أن مـن يحـب يسـامح.. سـترد برسـالة تقـول فيهـا ألـف أحبـك.. لالالا سـتهاتفه، هـي في أمـس الحاجـة لصوتـه

وصلـت إلى الهاتـف، فتحـت الرسـالة بلهفـة..

وتسـمرت......

«والله مـا يسـتاهل دموعِـك.. إنـتي مـش غلـط هـو فعـلاً خايـن»!

تهاوت على أقرب مقعد وواصلت البكاء.

****

استيقظت في اليـوم التـالي - لا تـدرى هـل فقـدت وعيهـا أم استسـلمت للنـوم - هـي فقـط تشـعر بثقـل رهيـب عـلى روحهـا، لا تعـرف لمـاذا.. وفجـأة تذكـرت.. هـو لـم يسـامحها رغـم أن مـن يحـب يسـامح!

هـي تظنـه يحبهـا، هنـاك مـن يقـول العكـس! وتذكـرت الرسـالة، لكـن خطـر لهـا أنـه اختبـارًا آخـر، وبعدهـا، بعـد أن تجتـازه بنجـاح، سيسـامحها بالتأكيـد.. نعـم.. هـو مـن بعـث تلـك الرسـالة، مـن سـواه يعـرف أنـه بكـت وهـي تسـتجديه أن يسامحها؟؟!! كيـف لـم تفهـم ذلـك أمـس؟ إنهـا حقًا حمقـاء! أرسـلت لـه «عنـدي ثقـة فيـك.. وبيكفـي» وتسـمرت أمـام شاشـة هاتفهـا، حـتى جاءهـا تقريـر

وصـول الرسـالة... خفـق قلبهـا بقـوة وهـي تضغـط
زر الاتصـال.. لكنهـا تراجعـت..
يجـب أن تنتظـر دقيقـة أو اثنتـين حـتى يقـرأ الرسـالة
ويفهـم أنهـا اجتـازت اختبـاره الأخـير.. وتسـتحق -
بجـدارة - أن يسـامحها.
في انتظـاره.. دهسـت الثـوانِ قلبهـا كقطـار بضائـع
طويـل يتهـادى ببـطءٍ وقسـوة، ولـم تحتمـل أكـثر
مـن دقيقتـين، واتصلـت..
تبًا !! حتى شركة الاتصالات تتآمر على أعصابها!
-(جـار الاتصـال.......) - لقـد لقنهـا الـدرس جيـدًا
هـذه المـرة ولـن تكـرر فعلتهـا ثانيـة، مهمـا حـدث
-(جـار الاتصـال.......) - حقـه.. لقـد جرحـت كرامتـه
بـكل حماقـة
- (جــار الاتصــال......) - كان قاسـيًا فعـلاً.. ولكـن
كل شيء يهـون مـن أجـل ثانيـة أخـرى تنعـم فيهـا
بصوتـه (الهاتـف الـذي طلبتـه ربمـا يكـون مغلقًـا أو
غـير متـاح) تبـاااا ً!
هــذه الشركــة تخــرف بــلا شــك!! لقــد وصلتــه

الرسـالة كيـف يكـون مُغلـق؟؟ سـتطلب منـه أن يغيرهـا فـور أن يـرضى عنهـا - مـرة أخـرى (الهاتـف الـذي طلبتـه........) محاولـة ثالثـة (الهاتـف الـذي..........) رابعـة.. خامسـة....... لا أمـل !!

****

أسرعـت إلى حاسـوبها، سترسـل لـه بريـدًا إلكترونيًـا، سـتعتذر مـرة ثانيـة وثالثـة.. وألـف.. حـتى يـرضى!
سبَّت شركـة المحمـول مائـة مـرة أو ربمـا ألـف، أثنـاء تحميـل الجهـاز... فتحـت بريدهـا بلهفـة، وللمـرة الثانيـة ترتطـم عيناهـا بالرسـالة نفسـها «والله مـا يسـتاهل، اتأكـدي بنفسـك»، فتحـت الرسـالة بأصابع مرتعشـة، رأت عـدة ملفـات صوتيـة، بـدأت تحميلهـا دون وعـي، كأنهـا مسـحورة.. وانتظرتهـا حـتى تكتمـل، وفتحتهـا.. اسـتمعت إليهـا بذهـول......
هـو صوتـه!! هـي تعبيراتـه.. ضحكاتـه، تلميحاتـه.. لكنهـا لأول مـرة تعـرف فجاجتـه!!
غلبهـا الغثيـان فجريـت إلى المرحـاض، تقيـأت مـرة واثنتـين وثلاثـا.. تمنـت لـو تقيأتـه هـو.. تمنـت لـو

مـدت يدهـا داخـل جوفهـا عميقًـا.. عميقًـا حـتى تصـل إلى القلـب فتخرجـه وترتـاح!

لكنهـا للأسـف لـم تفلـح. وفيـمَ يُجـدي انـتزاع القلـب؟ هـو لا يسـكن قلبهـا وحـده.. هـو يسـكن كل خلاياهـا، هـو يسـكن حـتى العظـم!! تشـعر أحيانًـا أنـه لـولا وجـوده في عمودهـا الفقـري لمـا وقفـت أبـدًا!!

هـدأت فجـأة، ولعنـت نفسـها «يـا حمقـاء وقعـتِ في الخطـأ نفسـه للمـرة المليـون؟؟ هـو اختبـار.. آخـر وأخـير.. بالتأكيـد أخـير.. مـا مِـن اختبـارٍ أصعـب وأقـسى منـه.. هـو الأخـير فتماسـكي! اهـدأي.. طمئنيـه..»

«ولكـن.. صوتـه!! فجاجتـه وانحطاطـه؟؟» «هـذا ماضيـه يـا حمقـاء.. ألـم يحـاول أن يصارحـك بـكل مـا فيـه ورفضـتِ؟؟ ألـم تدعـي أنـه لا يعنيـكِ، طالمـا وُلِـد معـك مـن جديـد!» «لـم أتخيـل أنـه بهـذا السـوء!»

«وماذا يهم؟ تعاملي وكأنك لم تعرفيه.. هو ماضٍ يا حمقاء.. مـ ـ ـاضي!»
تماسكت، وطلبت رقمه من جديد
(جار الاتصال.......... جار الاتصال..... جار الاتصاااال...) لا فائدة؟ مُغلق؟
قبل أن تنهي الاتصال فاجئها الرنين على الطرف الآخر..
رنين طويييييل.. ثم.................. صمت!
«آلو.. أخيرًا رديت.. حرام عليك.. سامحني بقى!.. آلو.. أرجوك والله اتعلمت خلاص.. مش هعملها تاني.. أرجو..... تيييييييييت تيييييييت تيييييييت !
جريت إلى الحاسوب، ستحاول مرة أخرى.. لم تستوقفها إلا الرسالة الثالثة، وصلت لتوها: «انتي مافيش فايدة فيكي؟؟ بعد كل اللي سمعتيه دا؟؟ هتخليني أغير رأيي فيكي»!

وجمت للحظات ثم كتبت «كفاية بقى! عايز

تبعـدني عنـك قـولي مـش عايـز، لكـن مـا تحاولـش تصدمـني فيـك! خلينـا نسـيب بعـض واحنـا بنحـترم بعـض! أنـا مـش لزجـة ولا ماعنديـش كرامـة علشـان تخليـني أتحايـل عليـك كل دا!

التفتت تبحث عن منديل - همممففف

أنـا بـس مـش هايـن عليـا آخـر حاجـة بيننـا تكـون إني جرحتـك - ضمـت كفيهـا إلى بعضهمـا كي تخفـف رعدتهـا

أرجـوك كفايـة اختبـارت بقـى.. قـولي إنـك مسـامحني وانـت حـر بعدهـا...

نكمل... -ترتجف - أو نسيب بعض!»

أرسـلتها وانتظـرت في وجـل، يدافـع خوفهـا أملهـا وشـوقها.. بـكل المشـاعر المتناقضـة الـتي يمكـن أن يحتويهـا قلـب انتظـرت رده.. الـذي وصلهـا بعـد ثـوان...

«يابنـتي افهمـي! أنـا مـش هـو.. أنـا مـش هـو والله.. أنـا عـارف عنـك كل حاجـة.. وعنـه، وعنكـم مـع بعـض.. بـس انـا مـش هـو! هـو مـا يعرفـش

إن قصة الحب الوحيدة اللي ما حكيتلوش عنها هي قصة الحب الوحيدة في حياتك! ما يعرفش إن كل اللي حكيتي عنهم عاشوا بس في خيالك.. وان القصة الحقيقية الوحيدة فشلت.. لأنك من بين كل شباب الدنيا حبيتي واحد خاين! هو ما يعرفش علشان كده مش فاهم سر غيرتك المجنونة! هو متخيل إنك عارفة إنه خاين علشان كده بتحاصريه! عشان كده قرر يبعد عنك.. ودا الدليل.. استمعت في ذهول للمقطع الصوتي الذي أرفقه مع رسالته، سمعت صوت(ـه) يسخر منها، من «عقدها» و«تحبيكها» سمعته يقول لصديقه «عاملة فيها مؤدبة.. خلي الشرف ينفعها أنا زهقت! هو أنا فاضي لحب الثانوي بتاعها دا!»

«أنا اتخنقت من لعبة القط والفار دي، أنا عارف إنها عارفة.. تعمل نفسها مش عارفة ليه؟ وبتحاصرني! يا تسيبني في حالي.. يا نكمل وهي ساكتة!»

ارتعدت.. لا أحد يعرف قصة حبها الوحيدة، هي غريبة في هذا البلد، ولا أحد أبدًا يعرف عنها أكثر مما عاشته في السنوات الثلاث الأخيرة!هي بلا أصدقاء تقريبًا، وليست من النوع الذي يثرثر مع الغرباء! من هذا الرجل!

وكيف حصل على كل تلك التسجيلات؟؟

إن لم يكن هو «هو»؟؟؟........

و «هو» كيف عرف قصتها!!.

قررت أن تحاول محاولة أخيرة قبل أن تجن فعلاً!

سألته «انت مين؟؟»

«مش مهم أنا مين.. أنا واحد بيحبك بجد وبخاف عليكي حتى من نفسي..

« إنت ميييين؟؟»

«مِش مهم !!»

«قول انت مين وإلا هموت نفسي !! لو انت عارفني فعلاً أكيد عارف إني ممكن أعملها!!» «مش هينفع أقول»

«انت ميييين؟!!!!!!!»

«طب ممكن أقابلك؟؟؟» في أي حالٍ غير حالها الآن كانت سترفض بالطبع، وربما مر برأسها ألف هاجس وهاجس..»ربما هي حيلة للقبض علي؟ أو إحدى حيل النصب عبر الإنترنت! أو... أو... أو لكنها في هذا الوقت بالذات أجابت «حالاً» « حاضر.. ما تنزليش في الحالة دي.. أنا هاجي تحت بيتك.. نص ساعة وأكون عندك.. «بيتي ازاي؟؟؟؟»

«لما آجي هتعرفي» لا تعرف كيف مرت عليها ٣٠دقيقة دون أن تجن!! كيف سمعت كل التسجيلات مرة وأخرى وأخرى حتى مرت عشرون دقيقة، نزلت بعدها إلى الشارع بمنامتها! لا تعرف كيف وقفت مصلوبة الظهر عشر دقائق كاملة، بعد أن اكتشفت أن نخاعها كان سرطانًا!! هي لم تفهم ولم تحاول أن تفهم أو تفكر أبدًا.. وصل هو، حاول أن يهدئها.. أن يمد يده ويسلم عليها، لكنها بدت تمامًا كتمثال شمعي.. تفحصته بعينين زجاجيتين وهي فقط تردد «انت

ميييييـين؟!»

«حـاول أن يفتـش عـن كلمـات يقـدم بهـا نفسـه.. يـبرر موقفـه، يـشرح لهـا لمـاذا فعـل كل هـذا.. إلا إنهـا قاطعتـه كالمجنونـة «انـت ميييييييييييـين!» عـلا صراخهـا فتوتـر.. قـرر أن يختـصر الطريـق، أخـرج حافظـة نقـوده، وهـو يتمتـم «أنـا مـش عـارف ازاي بعمـل كـده !!»

تسـمرت عيناهـا أمـام بطاقتـه.. ثبتـت لثـوانٍ.. بصقـت في وجهـه.. ثـم مضـت!

«عيوب سطحية»

رأي فيـه الجميـع « العريـس اللُقطـة»، طيـب، ابـن حـلال، صديـق شـقيقها في العمـل منـذ فـترة طويلـة وسـانده في الكثـير مـن الشـدائد ولـم ينتظـر أبـدًا مقابـل، كمـا إنـه «مقطـوع مـن شـجرة» كمـا يقولـون وأسرتـه مـن أصـل طيـب.

تـرددت في قبولـه لأنهـا لا تعرفـه، لا تعـرف عنـه أكـثر مـن أنـه صديـق شـقيقها، لـم تـره حـتى مـن قبـل إلا لثـوانٍ.

كادت ترفضـه لـولا اتهامـات أسرتهـا بالافـتراء و«التبطـر» عـلى نعمـة الله وتهديداتهـم بـأن الله سـيعاقبها ويبتليهـا بـزوجٍ لا يتقيـه فيهـا، وستشـقى طـوال حياتهـا لأنهـا ترفـض نعمـة الله.

لـم يفهمهـا أحـد حـين قالـت لهـم أنهـا «لا تعرفـه» ، اتهموهـا بـأن الأفـلام والأغنيـات والروايـات الـتي لا تفـارق يدهـا أفسـدت أخلاقهـا، وحـين قالـت «أنـا لا أعـرف عيوبـه ولا مميزاتـه، مـاذا يحـب ؟ مـاذا يكـره ؟

لا أعرف عنه أي شيء».
ردت أمها « أخوكي يعرفه، الراجل طيب وابن حلال وكريم وبيصلي وبيتقي ربنا عايزة تعرفي إيه تاني ؟ أي عيب بعد دا كله هيبقى عيب تافه وتقدري تتعاملي معاه
«اقتنعت على مضض وتم الزواج خلال شهر، وبالفعل وجدته طيبًا حنونًا لا يعيبه شيء.
بدأت تغير وجهة نظرها فيه واقتنعت بكلام أهلها وحمدت الله كثيرًا على أنه هداها ووافقت، وإلا ضيعت كل هذه السعادة من بين يديها. كان كل شيء على ما يرام حتى يومهم العاشر، كانت تجهز « السفرة» كي يتناولا الغداء حين دخل هو لقضاء حاجته، ثم خرج بيدين جافتين بينما لم تسمع هي صوت الماء!
ظنته نسى فحاولت أن تلفت نظره: «هي الماية مقطوعة ولا ايه ؟»
«لأ موجودة عادي بتسألي ليه؟»
« لأ.. أصلك.. آ.. ممم مافيش» كاد يغشي عليها

وهـي تـراه يـأكل بيديـه دون أن يغسـلهما بعـد أن قـضى حاجتـه لـم تمـد يدهـا لـلأكل وحـين انتبـه لذلـك سـألها «مـا بتاكليـش ليـه يـا حبيبـتي»

« لأ مافيـش حاجـة.. ماليـش نفـس خالـص... كل انـت بالهنـا والشـفا»

«لأ مش هاكل لوحدي.. أنا هأكلك بإيدي»

صرخت برعب « لألألألأ هاكل أنا»

« انـتي لسـة مكسـوفة مـني ؟ احنـا خـلاص بقينـا في بيـت واحـد ماينفعـش تتكسـفي !»

«لألألألأ مش كسوف، كل انت وانا هاكل.. هاكل»

« لأ لازم أكلـك بإيـدي» لـم تقـو عـلى مقاومتـه، ولـم تقـو عـلى مقاومـة احساسـها بالغثيـان كذلـك، فتقيـأت كل مـا أكلتـه وبكـت بهيسـتريا، أمـا هـو فقـد ابتسـم في رضـا.. وربـت عـلى كتفهـا قائـلاً «شـكلنا هنبقـى تلاتـة قريـب» فهمـت مـا يقصـده فـازدادت حرقـة بكائهـا مـن غبـاءه !

****

اكتشـفت بعـد ذلـك أنـه في عمـره كلـه لـم يغسـل يديـه

بعـد قضـاء حاجتـه، ولـم تعـرف كيـف تكلمـه في هـذا الموضـوع فرغـم أنهمـا أصبحـا زوجـين إلا إن بينهمـا ألـف حاجـز نفـسي يمنعهـا مـن فتـح موضـوع كهـذ.

أصابهـا هـوس النظافـة، كل مـكان مـن جسـدها يلمسـه بيديـه تظـل تحكـه بالصابـون مئـات المـرات حـتى كادت تدمـي جلدهـا، كلمـا اقـترب منهـا لا تـرى منـه إلا يديـه وتتخيـل أن هنـاك سـوائل لزجـة مقـززة تتسـاقط منهـا، كلمـا اقـترب منهـا ترتسـم عـلى وجههـا - لا اراديًـا - علامـات القـرف والاشـمئزاز!

لاحـظ كل هـذا لكنـه ظـن أنـه مـن أعـراض الحمـل، وكان يتحمـل في صـبر وبابتسـامة حنـون يربـت عـلى كتفيهـا ويبتعـد عنهـا.

****

لـم ترحمهـا الفكـرة حـتى في نومهـا ظلـت تطاردهـا كوابيـس مرعبـة تـرى فيهـا يديـه ملوثـة بسـوائل لزجـة مقـززة تحـاول خنقهـا وهـي تجـري وتحـاول الفـرار ولكـن بـلا جـدوى!

***

أصبحت لا تأكل تقريبًا إلا أقل القليل، نقص وزنها وشحب وجهها وتلفت أعصابها، أصبحت تفقد أعصابها وتبكي لأتفه سبب، لاحظت أمها احوالها فسألتها عما بها.

ترددت كثيرًا قبل أن تقول لها، ولكنها صارحتها في النهاية لأنها أوشكت على الانفجار فضحكت امها كثيرًا وقالت لها «حرام عليكي خضيتني انا بحسب في حاجة بجد»

« وهي دي مش حاجة بجد ؟؟ انا هتجنن انا مش عارفة اعيش»

« ايه التفاهة دي ؟ ليه مش عارفة تعيشي الجدع طيب وحنين.. حاولي تنسى الموضوع دا انتي مزوداها اوي»

« مزوداها؟ انا هموت ياماما انا بجد هموت.. هو ما ينفعش اخويا يكلمه في الموضوع دا ؟»

«انتي بتستهبلي ؟؟ انتي عايزة اخوكي يكلمه ازاي في الموضوع دا؟ هو عيل صغير لسة هنعلمه يغسل ايده؟ في ناس كده عادي ايه يعني»

« ياماما انا بتخنق، انا كل يوم ببقى بموت بجد»

« انتي عقلك صغير اوي»

***

قررت أن تطلب منه الطلاق، وذهبت إليه بالفعل عدة مرات كي تواجهه بطلبها لكن ابتسامته الحنون التي يستقبلها بها تُصَعِب الأمر عليها. حاولت أن تتناسى المشكلة وتقنع نفسها بأنها تخلق مشكلة من لا شيء لكنها فشلت. قررت أن تطلب الطلاق بالمحكمة دون أن تواجهه بذلك وتترك عبء إخباره للمحكمة، بالفعل توجهت في اليوم التالي للمحكمة وطلبت الطلاق للضرر، وانتظرت أيامًا وشهور حتى تنظر المحكمة في قضيتها.

****

بعد سبعة أشهر من الانتظار ومن تساءله عن سر طريقة تعاملها الغريبة معه رغم عدم وجود حمل وعن شحوبها الدائم ووزنها الذي ينخفض باستمرار ونوبات الصراخ الهستيري التي تنتابها ليلاً، جاء الرد برفض الدعوى لانتفاء الضرر!

جنازة

المشهد الجنائزي لم يبدأ هكذا، لا تعرف أصلاً هل رأته بالترتيب الزمني الصحيح للأحداث أم أن قوة خارقة مكنتها من رؤية التفاصيل التي سبقت هذا المشهد؟

المشهد بدأ بقطة فابتهجت لرؤيتها على الرغم من أن القطة كانت حزينة، ابتعدت الرؤية تدريجيًا عن القطة، ليظهر في الكادر من خلفها المشهد الجنائزي بتفاصيله المقبضة..

كانت القطة تحضر جنازة صاحبتها، كانت أفريقية نائمة بسلام في تابوت واسع.. إلى جوارها طفلها وثمة رجل منكب على صدرها يتلو صلاة ما... كان حزنها لأجلها وطفلها رقيقًا.. المشهد يبدو إنسانيًا.. الجمع المشهود حضر ليودع السيدة السمراء الجميلة.. ولكن الفزع بدأ حين بدأ الرضيع يتحرك أدركت بصدمة أنه لم يمت..

ظنته يودع أمه في اللحظة الأخيرة..
بدأت التفاصيل تصبح بائسة.. سيكون لهذا الطفل مستقبلاً مظلمًا بعيدًا عن حضن امه التي شاركها التابوت في لحظاتها الأخيرة، لكنها بدأت ترتعد حين اكتشفت أن السمراء لم تكن ميتة! التفتت إليها فجأة ورمقتها بنظرة لم تفهمها ولكنها كانت تدرك تمامًا أنها تعنيها من بين جميع الحضور على الرغم من أنها هي نفسها لم تكن تعرف موقعها في كل هذه الأحداث..
نظرتها لم تكن غاضبة ولا خائفة ولا مستجدية..
كانت بعيدة عن كل هذا ولكنها على الرغم من ذلك أفزعتها! ذلك الفزع الذي تشعر به حين تشعر أن الممثل في التلفزيون الذي تراقبه من خلف الزجاج يرمقك أنت بالذات.. لا يرمق الكاميرا، فيتجمد الدم في عروقك.
الفزع تضاعف حين اكتشفت أن الرجل المنكب على صدرها لا يتلو صلاة ما.. بل يذبحها..
كان يعضها ببطء والدم يتسرب ببطء والألم

وحـده يجـري بسرعـة الصـاروخ مـن موضـع العضـة إلى المـخ ولكـن السـمراء لـم تـصرخ! لـم تنظـر إلى السماء وتطلـب مـن الله أن يرحمهـا.. لـم تسـتجدي أحـدًا أن ينقذهـا.. لـم تنظـر إلى الرضيـع وتنسـاب مـن عيونهـا دمعـة خائفـة..

السـمراء بـدت مستسـلمة تمامًـا لـكل مـا يحـدث.. بـل أكـثر.. السـمراء بـدت وكأنهـا تعـرف مـا حـدث ومـا يحـدث ومـا سـيحدث بالتفصيـل والـشيء الوحيـد الـذي يشـغلها هـي أنهـا تريـد أن تحـكي لهـا. تبـدد المشـهد في ثـوان.. وعـلى عكـس كل كوابيسـها لـم تنسـه حـين اسـتيقظت.. لـم تنـس نظـرة السـمراء.. لـم تنـس تفاصيـل المشـهد.. بـل يتضـح لحظـة بلحظـة.. وكأن وعـي السـمراء ينتقـل إليهـا كلمـا اسـترجعت النظـرة في عيونهـا!

....

